

سليمان الحلبي



كان يوم السبت ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م ، أطول أيام الجنرال « **كليبر** » فى مصر .

حين بدأ اليوم ، لم ينبىء بشىء جديد عما تعوده الجنرال منذ تولى القيادة العامة لجيش الشرق قبل عشرة اشهر ، فشمس يونيو الساطعة توحي بيوم صيفي حار ، مكتظ بالعمل ومبلل بالعرق .. وفى جدول أعماله ، مهام لاتخلو من مشقة ، ولكنها لاتفتقد إلى الترفيه ، أما الذى لم يكن يعلمه الجنرال ـــ حين فتح عينيه في الصباح بمسكنه المؤقت فى معسكر الجيزه ـــ فهو أن هذا اليوم سيكون آخر ايامه في هذه الدنيا الفانية ..

كان عليه أن يعبر النيل إلى الروضة ، ليستعرض الجنود اليونانيين ، الذين تتكون منهم « كتيبة الأروام » ويلتقى بقائدهم القبطان « **نيقولا بابازوغلو** » لعله

يسمع منه مايطمئنه على كفاءة فرقته ، وقدرتها على دعم الجيش الفرنسي ، إذا ما اضطر للدخول فى مواجهة جديدة مع العثمانيين أو الانجليز أو المصريين ..

ومع أن أحوال الكتيبة كانت تدعو للتفاؤل ، إلا أن « **كليبر** » لم يهضم بسهولة الواقع الذى قضى بان يحتاج جيش الشرق لمن يدعم قدرته على المواجهة والصمود . أين الاحلام الجامحة التى قاد بها « **نابليون بونابرت** » هذا الجيش نفسه — قبل ثلاثة أعوام — ليبني امبراطورية فرنسية شرقية ، تضرب انجلترا في الصميم ، وتقطع طريق تجارتها إلى الهند ؟ .. أين صيحة « **نابليون** » أمام الأهرام مخاطباً جنود جيش الشرق : أيها الجنود .. إن أربعين قرناً تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام ؟ . وأين قاموسه الذى كان يفخر بأنه قد خلا من كلمة مستحيل ؟ .

ضاعت جميعها بين الصحراء والبحر ، كما ضاع نصف جيش الشرق فى الطواعين والثورات وأمام أسوار « **عكا** » . تبدد الجيش والحلم . هرب قائده « المظفر » « **نابليون بونابرت** » تحت جنح الليل ، مُخلِّفا أربعة خطابات مليئة بالنصائح ، وتركة مثقلة بالديون ورثها « **كليبر** » : خزانة مُفْلِسة بها عجز يصل إلى عشرة ملايين من الفرنكات ، وجيش فقد نصف قواته ، وتدهورت معنوياته ، وبلغت متأخرات رواتبه أربعة ملايين فرنك ، يرتدى جنوده وضباطه ملابس باليه ، لايستطيع ان يجددها لهم ، لأنه إذا وجد النقود اللازمة لذلك ، فلن يجد السبيل لاستيراد الأجواخ ، وهو محاصر بين البحر والصحراء .

فهل تصلح « كتيبة الأروام » التي يقودها القبطان « **نيقولا بابا زوغلو** » ما أفسده الدهر ؟ . هل تمكّن جيش الشرق المحاصر من الخروج من المحنة حيا ؟ فتنقذه من براثن الاعداء الكثيرين الذين يتربصون به : الانجليز فى البحر .. والأتراك فى الصحراء .. وهؤلاء المصريون الذين لم تمض سوى أسابيع قليلة على إخماد ثورتهم اللاهبه ؟

كانت أثار الثورة ماتزال واضحة على مبنى القيادة العامة للجيش الفرنسى ، حين وصل إليه « **الجنرال كليبر** » قادماً من الروضة ، ليتفقد اعمال الترميم الذى أمر باجرائه به . طالت قنابل الثوار غُرف القصر والممرات التى تنتشر بين حدائقه



قصر الألفى الذى لم يسكنه .. فتحول إلى مركز للقيادة العامة لجيش الاحتلال الفرنسى

ونافوراته ، وثكنات الجنود المحيطة به . حطمت الثورة جمال القصر ، فهل هو قصر أم لعنة ؟ . لم يتمتع أحد بالاقامة في هذا الترف الجنونى ، حتى صاحبه الأمير المملوكى ، « **محمد بك الألفى** » ، الذى بناه وزخرفه ، واستورد له نافورات من ايطاليا ، وأنواعا من الرخام والأعمدة ، وخرط له مشربيات وشبابيك يزينها زجاج ملون ، وفرشه بالوسائد والمساند والستائر ، وأضاءه بالقناديل والشموع والمشكاوات ، لم يمكث به سوى ستة عشر يوماً ، ثم جاء جيش الشرق ، فهزب الأمير المملوكى فيمن هرب ، أما البيت فسكنه سارى عسكر « **بونابرته الكبير** » ، قائد الجيوش الفرنساوية الذى جاء ليلتقى بأربعين قرناً من التاريخ ، فحوصر ، ودمر الانجليز اسطوله فى « أبى قير » ، ولم يجد متعة تخرجه من الحصار والإحباط وتضفى بهجة على القصر الفخم الذى سكنه ، إلا أن يدفن إحباطه فى أحضان المواطنه « **بولين فوريه** » .

صعد الجنرال « كليبر » سلالم القصر المصنوعة من الرخام والمرمر والجرانيت المصقول المجلوب من أسوان ، يتفقد العمال الذين انهمكوا يصلحون ماطال الجدران من قذائف ، وينزعون النوافذ المحترقة ، ويستبدلون الزجاج المحطم تأمل النافورة الفخمة فى قاعة الاستقبال التى شهدت احتفال « **الألفى** » الأول والأخير بقصره الذى لم يسكنه بعد ذلك أبدا ، وسمعت أكاذيب « **نابليون** » على شيوخ الأزهر يوم أعلن أمامهم إسلامه ، وأكاذيبه على جنوده يوم وعدهم بأن يحصل كل جندى منهم عند عودته إلى فرنسا مايكفى لشراء ستة أفدنة من الأرض ، فمات معظمهم دون أن يجدوا قبراً يدفنون فيه .. أما فى غرفة النوم ، فقد كانت وعوده الباطلة « **لمدام فوريه** » بالزواج منها منقوشة على الجدران ، كأثر تذكارى للكذب والجبن ، فقد دبر رحيله من مصر فى سرية تامة وتركها دون أن يصحبها أو يكتب لها حرفاً واحداً .



لم يكن المهندس « **جان بروتان** » هو الذى تنبه لذلك الشاب الرث الملابس الذى يرتدى عمامة خضراء ، وقفطاناً رديئاً ، ويمشي في إثر الجنرال « **كليبر** » من غرفة لغرفة خلال تفقده للاصلاحات التى تجرى فى القصر ، إذ كان « **بروتان** » مشغولا بتقديم إيضاحات حول عمليات الترميم للجنرال ، ولكن الملازم ، « **فورتينيه** » — « **ياور كليبر** » — كان هو الذي تنبه لذلك الفتي الذى أخذ وجهه يظهر أمامه فى كل غرفة أو قاعة استقبال يدخلها الجنرال ومرافقوه . ولم تكن ملامحه تشي بشيء ، ولعل آخرون قد تنبهوا ايضا له ، لكن أحداً لم يفسر الأمر بأكثر من مظاهره ، فالقصر مليء برجال مثله يصلحون ما أصابه من دمار ، فلعله واحداً من العمال الذين يصلحون الزجاج أو يخرطون الخشب ، فجميعهم يرتدون ملابس رثة ، وحتى لو لم يكن ، فليس هناك أدنى احتمال لأن يقوم أى انسان فى مصر الآن بعمل طائش ، وأطلال حى الأزبكية المحيطة بالقصر شاهد على أن الطيش سيء العاقبة ، فقد



نابليون بونابرت .. بعد أن أصبح إمبراطور لفرنسا

احترقت عن بكرة أبيها ، لأن حفنة من المهيجين ظنت أن رحيل « **بونابرت** » يمكن أن يضعف موقف الفرنسيين فى مصر .

وحين اقترب موعد الغذاء ذكّر المهندس « **بروتان** » الجنرال بدعوة للغذاء ؛ كان قد وجهها إليه « **الجنرال داماس** » ـــ رئيس أركان حرب الجيش ـــ فغادر

الإثنان القصر إلى الحديقة ، وبصحبتهما الحاشية ، واخترقاها عبر الأرض المصنوعة من الفسيفساء الملون ، إلى ممشى يقود إلى حديقة بيت « **داماس** » المجاور للقيادة العامة . ولاحظ « **فورتينيه** » أن الشاب ذا العمامة الخضراء مازال ضمن صفوف حاشية الجنرال ، ولما كان ذلك فى رأيه تطاولا ، فقد أمر أحد الخدم بطرده قبل أن يدلف إلى دار رئيس الأركان ، وحين ألقى نظرة أخيرة ، وهو على سلم منزل « **داماس** » ، لم ير وجه الرجل ، فتنهد براحه .

فى قاعة الطعام بمنزل « **داماس** » تخفف « **كليبر** » من سترته العسكرية بسبب حرارة الجو ، وسرعان ماشمل المدعوين جو من الألفة ، وزاد « **كليبر** » الجو مرحاً بسخريته اللاذعة من « البطل القوى القادر » « **بونابرت** » الذى هرب تحت جنح الظلام ، وترك له خلافة لم يكن يريدها ، وخطابا مليئاً بالأكاذيب عن فرنسا التى هرول لنجدتها ، ولو كان صادقاً لقال : عن السلطة التى لابد أن آخذ لنفسي نصيباً منها قبل ان تتوزع وأنا محاصر هنا فى مصر ..

وإذ تطرق الحديث إلى الأحوال فى مصر بدا « **كليبر** » مطْمئناً ، صحيح أن مشروعه للجلاء عنها بشكل مشرف قد فشل ، ولكنه انتصر على الأتراك فى معركة عين شمس ، وأخمد الثورة التى قام بها المصريون ضده خمسة أسابيع متصلة ، وهو واثق أن سياسته ستثمر ، فالشيء الوحيد الذى يحترمه المصريون هو القوة . ومصر ـــ في نظره ـــ إقليم تحت الاحتلال العسكرى ، وينبغي أن تخضع له . وسوف يخضعها شاءت أم أبت ، فأى محاولة لكسب مودة الأهالى عن طريق التظاهر بالأخوة مقضى عليها بالفشل ، فهى خدعة لاتنطلي على هؤلاء القوم الماكرين ، الذين يخطئون فهم التسامح ويظنونه ضعفا ..



فى الساعة الثانية بعد الظهر غادر « **كليبر** » المأدبة قبل أن تنفض ليواصل تفقدأعمال الترميم ، وليستعرض مع كبير المهندسين « **بروتان** » تصميما أعده لمبنىً جديد يلحق بقصر الألفي . عبر حديقة قصر « **الجنرال داماس** » ـــ بقامته المديدة التي تقرب من ستة أقدام ـــ دون آن ينتظر ياوره « **الملازم ديفوج** » الذى لم يكن قد

حديقة قصر القيادة العامة لجيش الاحتلال الفرنسى ، في مكان ما منها قتل سليمان الحلبى كليبر ، وهو المكان الذى تشغله الآن محطة تموين للسيارات على ناصية شارعي « الجمهورية » و« الألفى » بوسط القاهرة



انهى طعامه بعد ، ولحق به « بروتان » . وانهمكا فى حديث حول المبنى الجديد الذى يريد « كليبر » إضافته لمقر القيادة العامة ، لكى يتوقى فى المستقبل أى محاولة يقوم بها الغوغاء المصريون ، للهجوم على القيادة ، كما حدث منذ أسابيع ، وحين مر الاثنان أمام بئر أقيمت عليه ساقيه ، لم يتنبها لذلك الشاب ذى القفطان والعمامة الخضراء ، الذى كان يكمن متسترًا بدواليب الساقية .

دلف الرجلان إلى رواق طويل ، يفصل بين الحديقتين ، وتظلله تكعيبة من العنب وهما يواصلان الحديث ، وفى حين التفت المهندس « بروتان » إلى الخلف يتفحص بعض التدمير الذى لقيه فى طريقه ، واصل « كليبر » سيره فتقدمه بخطوات ، آنذاك ، ظهر ذو العمامة الخضراء من خلف الساقية ، وتقدم نحو الجنرال ، الذى ظنه متسولا جاء يطلب عطاءه ، أو صاحب حاجة جاء يعرضها ، فقال بعجرفة :

— مافيش ...

واصل الشاب تقدمه بلا تردد . ماداً يده اليسرى إلى أمامه . ظن الجنرال انه يريد تقبيل يده . ما أن اقترب منه حتى مد الجنرال إليه يده مبسوطة كي يقبلها . فى ثوان قليلة كان الشاب قد أخرج يده اليمنى من صدره ، وفيها خنجر حاد طعن به « **كليبر** » فى صدره ، فى اللحظة نفسها كان « **بروتان** » يتلفت وراء كتفه . رأى القاتل يسحب مديته من صدر الجنرال وبينما كان « **كليبر** » يترنح ، أغمدها فى بطنه ، ثم فى ذراعه اليسرى وخدّه الأيمن . أذهلت المفاجأة « **بروتان** » للوهلة الأولى فألقى بنفسه أرضاً ، وحين سمع « **كليبر** » ينادى حُرّاسه بصوت ضعيف ، استرد شجاعته فقام مسرعا ليلحق بالقاتل ، ورفع عصا كان يحملها وانهال بها ضرباً على رأسه ، التفت إليه الشاب . تماسكا فى شبه شجار . حسمه الشاب بمديته فطعن « **بروتان** » ست طعنات حتى سقط فاقد الوعى .

انقضت ست دقائق قبل ان يتنبه أحد لما جرى ، أما الشاب ذو العمامة الخضراء فقد اختفى وحين اكتشف الحراس ماجرى ، كان « **كليبر** » قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وعلى أثرها انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر ، فجاوبته على الفور كل الطبول الفرنسية فى القاهرة ، تدعو الجنود إلى مراكزهم . واحتاطوا ــ كما يقول « **الجبرتى** » المؤرخ ــ بالبلد ، عَمَّروا المدافع وحرَّروا القنابر ، وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم . واندفع الجنود الفرنسيون كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم وقد اشتد غضبهم وبدا أن جنونا وبائياً قد أصاب الجميع ، قتل الفرنسيون بسيوفهم وخناجرهم جميع من صادفهم من الرجال والأطفال ، فى تلك الساعات السوداء من ذلك النهار الذى لم يكن كذلك .

لم يترك القاتل وراءه اثراً يدل عليه سوى جزء من شال عمامته الأخضر الذى تمزق خلال المعركة القصيرة التى وقعت بينه وبين « **بروتان** » ، وانتشر الجنود يفتشون المنطقة التى جرى بها الحادث وماحولها من بيوت ، وبعد ساعة عثر عليه الجنديان « **بيران** » و « روبير » فى حديقة مجاورة لبيت « **الجنرال د. اماس** » . كان منهكاً تتساقط الدماء من رأسه ــ التى أصابتها عصا المهندس « **بروتان** » إصابات مؤثرة

ـــ فتلطَّخ ثيابه ، وتُلوِّن الجدران القصيرة نصف المتهدمة التى استند إليها . وكان عارى الرأس إلا من غلالة من قماش اخضر .

وكان يصلى .

قال الجندى « جوزيف بيران » ـ فى التحقيق الذى أجرى فى وقت لاحق من اليوم نفسه ـــ :

ـــ لقد اضطررنا ان نضربه بالسيف عدة ضربات لكى نحمله على المشى ..



مراد بك

تحولت مائدة الغذاء فى بيت « الجنرال داماس » إلى مكتب للتحقيقات . وأشرف الجنرال « مينو » ـــ أقدم جنرالات الجيش وقائد القاهرة ـــ على التحقيق . قال « المتهم » ان اسمه « سليمان » عمره ٢٤ عاماً ، وصناعته : كاتب عربى ، وسكنه : حلب . أنكر أنه قتل « الجنرال كليبر » . وبرر العثور عليه فى الحديقة بأنه كان جالسا هناك لأن الخيّالة كانوا يحاصرون جميع الطرق ، فلم يستطع ان يغادرها إلى أى مكان . وحين وُوجِه بالخنجر ـــ الذى عثر عليه « بيران و « روبير » مدفوناً فى التراب فى نفس المكان الذى قبض عليه فيه ـــ أنكر أنه يخصه . وسئل عن غلالة القماش الأخضر التى وجدت بجانب جثة الجنرال ، وتبدو مكملة لغلالة أخرى مماثلة لها توجد فى ملابسه ، فأجاب بأنها ليست له . وقال إن الجروح التي برأسه أحدثها من قبضوا عليه .



تقول الترجمة العربية لنصوص التحقيقات « فلما أن كان المتهوم لم يَصْدُق فى جواباته ، أمر سارى عسكر أنهم يضربونه ، حُكْم عوائد البلاد . فحالا إنضرب لحد

أنه طلب العفو ، ووعد أنه يقر بالصحيح ، فأرتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد .. » .



مات الجنرال « **جان بابتست كليبر** » ، قبل أن يحتفل بعيد ميلاده السابع والأربعين . وحين ولد فى مدينة « ستراسبورج » عاصمة مقاطعة الإلزاس ـــ عام ١٧٥٣ م ، لم يكن أحد يظن أنه سيلقى حتفه فى ركن من حديقة بيت مملوكى بميدان الأزبكية بمصر المحروسة ـــ تشغله الآن محطة بنزين على ناصية شارعى الألفى والجمهورية بمدينة القاهرة ـــ على يد رجل لم يولد ـــ فى مدينة حلب السورية ـــ إلا بعد ذلك التاريخ بثلاثة وعشرين عاماً كاملة .

فروق كثيرة فصلت بين الرجلين ، أهونها شأنا العمر والمقام ، فنحن نقرأ أكثر من اللازم عن كليبر « بطل معركتى مايستريك وعين شمس » وصاحب « المواقف العسكرية البطولية على ضفاف أنهار الراين والنيل والأردن » ، وهذا طبيعى ، فالقائد الإلزاسى ترك مذكرات ووثائق وسكرتيرين ومصورين وشعراء ، كتبوا عنه وأشادوا به ، وأبنوه قبل أن يدفن فى حديقة « **قصر العينى** » بالقاهرة . أما « **سليمان الحلبى** » ، فان أحدا لم يعن بأن يكتب تاريخه ، وهو لم يكتب مذكرات ، ولم يترك صوراً جرافيكية أو زيتيه ، ولاشك أن شاعرا مجهولا قد أبّنه ، ولكن المؤرخين الذين يعنيهم هذا النوع من الشعر ، كانوا نادرين فى ذلك الزمان . وهكذا لم يبق لنا من « **سليمان الحلبى** » إلا معلومات قليلة ، وأقوال بسيطة غير مزوقه ـــ بل وأحياناً ركيكه ـــ أدلى بها أمام هيئة من الجنرالات المتزمتين الذين تنوشهم مشاعر الثأر والانتقام ، بعد أن « انضرب لحدّ أنه طلب العفو » ، وأوصاف تافهه منحها له « **الجبرتى** » ـــ مؤرخ

القاهرة — الذى قال عنه انه « رجل آفاق أهوج » ، وأهم تلك الكلمات البسيطة الأسرة ، قالها « سليمان الحلبي » — بعد أن ارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده — سألوه لماذا جئت من غزه الى مصر . قال :

— كان مرادي أن أغازي فى سبيل الله !



رأس « سليمان الحلبي » — التى قطعوها بعد ذلك — كانت خالية من ذلك الذى يسمونه « أحلام المجد » . وكان هدفه عاريا عن أى تزويق أو تهويل أو أوهام بشرية . لذلك جاءت كلماته بسيطة ، فهو لم يكن يملك خبرة « كليبر » الواسعة فى وضع هالات العظمة حول مايفعل ، ومن المؤكد أنه كان خالياً تماماً من أى إحساس مريض بالذات ، أو حرص على إبراز مظاهر العنجهية وسمات العظمة ، كما كان غريمة القائد الالزاسى يفعل عادة . كان شاباً تطهرياً يرى المسائل فى مباشرتها ونقائها ، ففعل مافعل ، لأن « مراده أن يغازى — أى يجاهد — فى سبيل الله » لا لشىء أكثر من ذلك ..

والمواجهة الدموية التى حدثت فى « رواق العنب » — الذى أصبح الآن شارعاً تدوسه السابلة — بين « سليمان الحلبى » وبين « جان باتيست كليبر » تُصوَّر على لسان مؤرخين كثيرين باعتبارها مواجهة بين رجل متعصب مصاب بهستيريا — أو هلاوس — دينيه ، وبين قائد عظيم من أبناء حضارة الحرية والأخاء والمساواة ، جاء لينشر العلم والعمران والتقدم فى الوطن العربي الجاهل والمتخلف ، ولينقله من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ..

تلك بعض أكاذيب المؤرخين ، وهى ليست قليلة ، فلا أحد يعرف — على وجه التحديد — أين تكمن الحضارة فى تاريخ حياة الجنرال « جان باتيست كليبر » ، ولا أحد يستطيع أن يضبط ذلك الانتماء لمقولات الثورة الفرنسية فيما فعله — هو وسيده « بونابرت » — بأهل « القاهرة » وأهل « يافا » وأهل « رشيد » ، وكل الذى نضبطه ، هو المدافع والبنادق والبارود والمذابح والقسوة التى لاحد لها ،

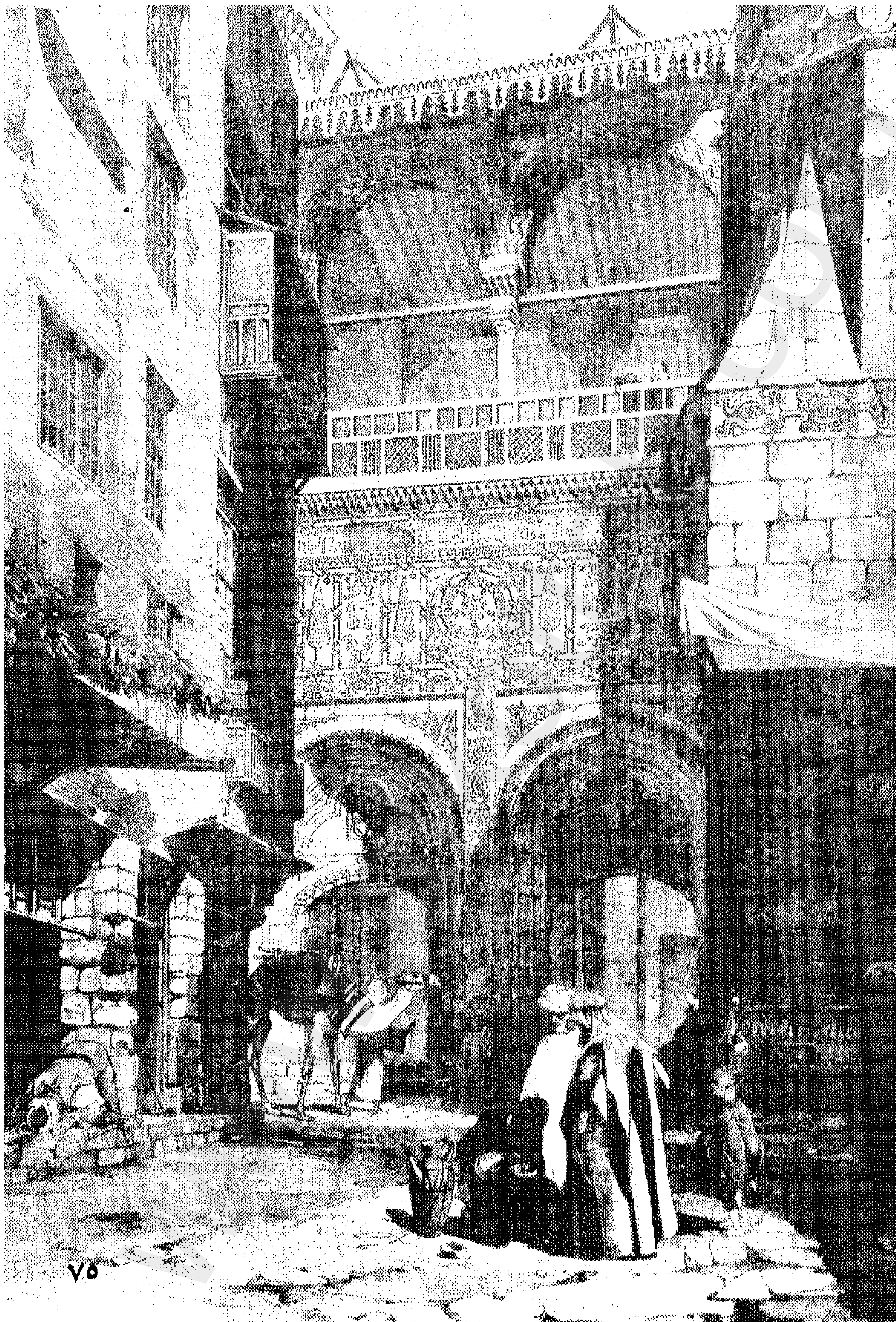
وحفنة من الشعارات عن الحرية والإخاء والمساواة ، اعترف « **بونابرت** » — بعد ذلك فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بسانت هيلانه — بأنها كانت دجلا من أعلى طراز !

وفى السنة التى رزق فيها « **الحاج محمد أمين** » تاجر الزبد بمدينة حلب السورية — بابنه « **سليمان** » [١٧٧٦ م] ، كان « **جان باتيست كليبر** » قد انهى دراسته للعمارة وللهندسة الحربية . والتحق بجيش مملكة بافاريا ، حيث خدم ثمانى سنوات وحين انشىء الحرس الوطنى — فى بداية الثورة الفرنسية — انضم إليه ، وهكذا أصبح الضابط السابق المتفوق فى خدمة الامبراطوره « **ماريا تريزا** » ، و« **الملك لويس السادس عشر** » جمهوريا متحمسا ، وهو أمر يصعب فهمه على الذين يأخذون الحياة ببساطة ، ولكننا نجد له اشباهاً ونظائر فى حياة كل جنرالات الثورة الفرنسية ، الساعين إلى مجد السيف وعظمة السلطة ، دون أن يشغلوا أنفسهم بالبحث المزعج عن أهداف عليا أو غايات سامية ، فهم يقاتلون ويُقتلون ، وليس فى مرادهم أن يغازوا فى سبيل الله أو سبيل الوطن ..

وهكذا شارك « **كليبر** » — بكفاءة عسكرية — فى قمع الاضطرابات التى قام بها فلاحو الاقاليم الغربية الفرنسية ضد الثورة فى « **الفندية** » و « **اللوار** » و« **سيفر** » و« **بريتانى** » . وشارك فى حروب الثورة ضد التدخل الأوروبى ، فدافع عن « **ماينز** » التى حاصرتها القوات البروسية شهرين ، وانضم إلى جيش « **الجنرال بونابرت** » الذى فتح ايطاليا ، ولمع اسمه فى معارك « **شامبانيا** » و« **شالروا** » و« **مايستريك** » . وحين قرر « **بونابرت** » أن ينشىء إمبراطورية فرنسية شرقية ، صحبه معه إلى مصر ، حيث كان مقدراً له ، أن يموت فى « مواجهة دموية » بعد عامين من وصوله إلى الشرق .

ولا أحد يعرف أين كان « **سليمان الحلبى** » حين وصل « **كليبر** » إلى الاسكندرية — فى ٢ يوليو (تموز) ١٧٩٨ م — لعله كان فى « **القاهرة** » ، أو فى « **مكه** » أو فى « **الاسكندرية** » ذاتها . فالذى نعرفه من تاريخه ، أنه شاب قلق ، كثير التجوال ، فهو ابن لتاجر فى زمن كان التجار فيه موضع عُسْف من يحكمون ، تتوالى عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات ، وينتقلون بسرعة من الحياة الرخية

مدخل الجامع الأزهر كما رسمه الرسام « هاى » عام ١٨٠٠ م

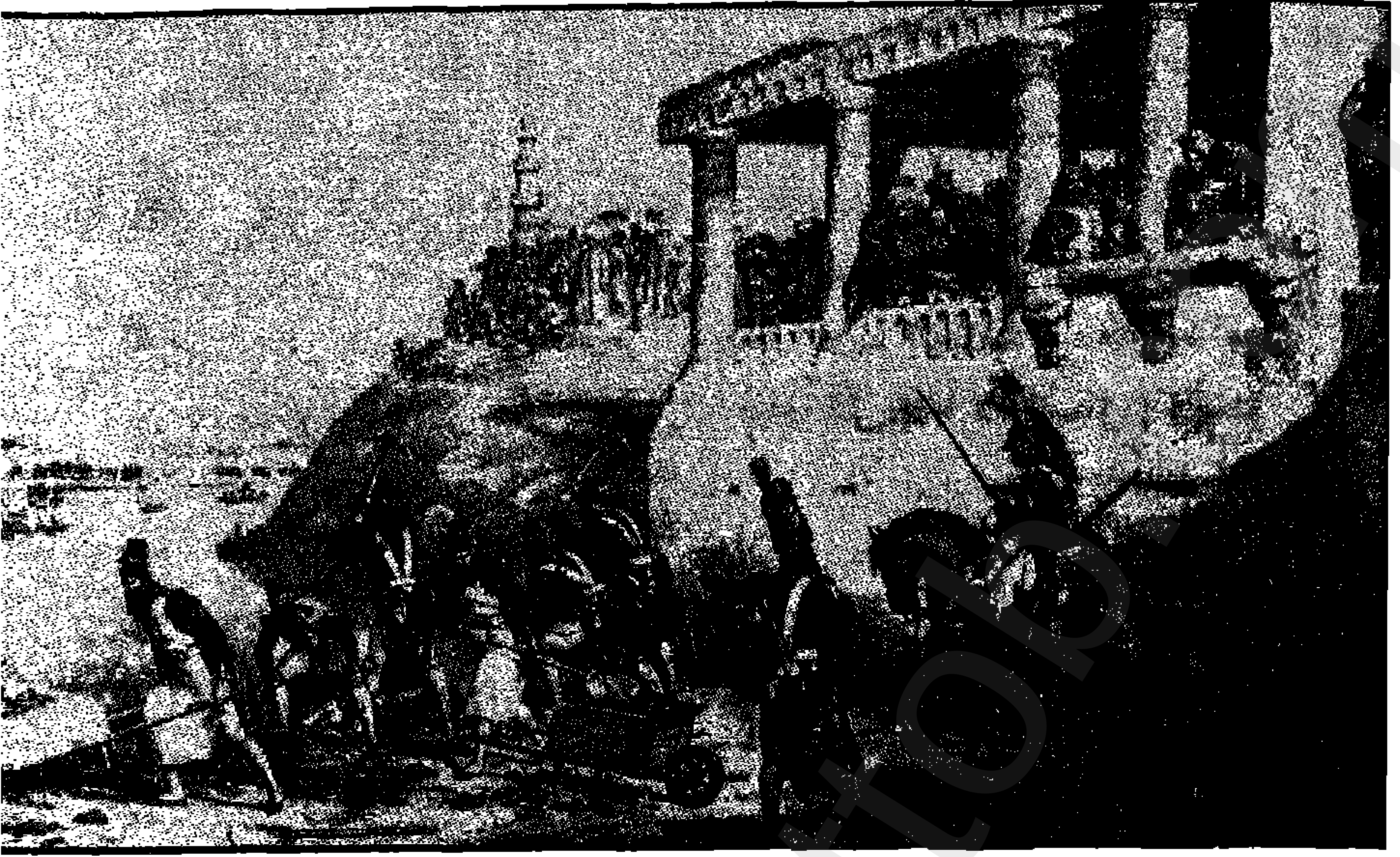


السهلة إلى حياة تصل الى حد الفاقه . وهو لم يأخذ عن أبيه إلاّ أنه كثير التجوال ، فقد عاش ثلاث سنوات فى « **مكة** » و « **المدينة** » مجاورا للبيت العتيق ولقبر الرسول ، وعاش ثلاث سنوات أخرى فى « **القاهرة** » ، مجاورا للأزهر الشريف ، يدرس القرآن ويحفظه على يد شيخ تركى عجوز اسمه « **مصطفى افندى** » . وهو قد زار « **القدس** » و« **نابلس** » ، وكان على صلة وثيقة بأهل « **غزه** » ، حتى أن الشيوخ الثلاثة الذين عرفوا مشروعه لقتل الجنرال كانوا جميعا من « **غزه** » !

وكان أول مافعله « **كليبر** » حين نزل إلى البر على شاطىء العجمى بالاسكندرية ، أن ارتوى من ماء بئر قريبه ، واستغرق فى نوم طويل أيقظه منه البرد ، وفى الصباح التالى بدأ هجوم المتحضرين من جنرالات الحرية والإخاء والمساواة ، على « المتوحشين الهمج .. العرب .. المسلمين .. المصريين » من أهل « **الاسكندرية** » . وفى الهجوم تلقى « **كليبر** » طلقة إنذار أصابته فى جبهته ، أطلقها جندى من قوات الدفاع عن المدينة المحاصرة كان يقف على سور المدينة ، ولم يفهم « **كليبر** » مغزى الانذار الذى أصابه فى جبهته ، فقد شغل بعد ذلك بعلاج إصابته ، وبالضيق من قائده « **بونابرت** » ، الذى تركه فى الاسكندرية قومنداناً وحاكماً ، واصطحب الفرقة التى كان يقودها فى زحفه لفتح « **القاهرة** » ، وحرمه من رؤية القرون الأربعين التى أطلت على الغزاة من فوق قمة الأهرام .

وفى الفترة التى حكم فيها « **كليبر** » الاسكندرية أثبت أنه مخلص حقاً لمبادىء « الفرنسوية المبنية على الحرية والتسوية » — كما جاء فى الترجمة العربية للمنشور الذى وزعه « **نابليون** » على المصريين — وآية ذلك الاخلاص أن سكان « **الاسكندرية** » احتموا — بعد ان اقتحم الغزاة مدينتهم — بالمساجد فذبحهم الغزاة : الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الأطفال ، ذبحوهم عن بكرة أبيهم .. وبعد أربع ساعات هدأت سَوْرة جنود الحضارة ، رافعى أعلام « الحرية والتسوية » !

وتلك واقعة لم يروها الدفاع عن « **سليمان الحلبى** » ، فى المحاكمة الهزلية التى أجريت له عقب مقتل « **كليبر** » ، ذلك أنه لم يكن هناك دفاع أما هو نفسه — « **سليمان** » — فقد ظل صامتاً هادئاً كرجل فعل مايريد ولايعنيه مايجرى أمامه . ولو



الد العام لجيوش الجمهورية الفرنسية في مصر ، يشهد الاحتفال بقطع الخليج

أنه تكلم لنقلت جثة « **كليبر** » التى كانت حتى ذلك الوقت فى منزل الجنرال « **داماس** » ـــ المجاور لمقر المحكمة ـــ لتوضع فى قفص الاتهام . ولكف ممثل الاتهام ، القومسيير « **سارتلون** » ـــ مدير مهمات جيش الاحتلال ـــ عن الاندفاع فى مرافعته الشائنة . ولعرف حقا من هو صاحب « اليد الأثيمة والروح الخائنة المتعصبة » الذى جاء ليقتل « القائد العظيم المجلل الرأس بغار المجد ، الذى تراجعت عنه فى المعامع أخطار الحروب » .

« أكاليل الغار » التى تزين رأس « **كليبر** » أكثر من أن تحصى ، لكن « **سليمان** » الحلبى آثر الصمت ، أما مؤرخو الحضارة فقد تحدثوا أحياناً .. فقبل

ثلاث سنوات ، وبعد عشرة أيام من تعيينه قومنداناً على « **الاسكندرية** » أمر « **الجنرال كليبر** » بالتحفظ على عدد من كبار أعيان المدينة ووجوهها واتخذهم رهائن . والسبب أن جثة لأحد جنود مدفعية الأسطول الفرنسي وُجدت فى أحد الشوارع ، ولفظ البحر — فى اليوم نفسه — جثة لخادم فرنسي لأحد الضباط الفرنسيين ، فغضب الجنرال ، وطلب تسليمه الجناة ، وهدد بشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن إذا لم يُسَلِّموا له . مؤكدا بذلك فهمه للمساواة ، فلا أحد فى شعب مغلوب ومقهور أيا كان مقامه ، يساوى جندياً قتل غالباً لأنه تسلل إلى بيت يريد أن يُدبَّ على نسائه ، فنال جزاء عدوانه على حرية الآخرين ، ولا أحد فينا نحن المتخلفين الجهلة ، يساوى خادماً طوح به السُكْر إلى مياه البحر . أما أخذ الأبرياء رهائن والتهديد بقتلهم على جريمة ارتكبها غيرهم ، فهو أفضل تطبيق لقاعدة « شخصية العقوبة » وهذا هو فهم الغزاة لما قاله « **روسو** » و « **مونتسكيو** » و« **فولتير** » ..



وكما اثبت « **بونابرت** » — حين حكم مصر — انه مجرد عاهل مستبد ، فضلا عن أنه غازي فقد اثبت « **كليبر** » نفس الشيء ، الفرق بين الرجلين ، ان الأول كان بشوشا ، ربما لأنه كان أكثر قدرة على الاحتيال ، أما « **كليبر** » فكان جهماً . يقول « **الجبرتى** » المؤرخ أن أكابر البلد من المشايخ والأعيان ، حين قابلوه « لم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل « **بونابرته** » ، فانه كان بشوشاً يباسط الجلساء ويضحك معهم » ، وكان « **بونابرت** » ينطلق — فى تعامله مع المصريين — من قاعدة ثابتة ى أن يقطع ستّ رءوس كل يوم ، ويحتفظ مع ذلك ببشاشته ، أما « **كليبر** » ، **فكان يقطع الرءوس — بنسبة أقل — ويعوض الفرق بجهامة تفرض هيبته ، وبفرض غرامات جماعية تستنزف المال بلا رحمة ، واجتمع المنهجان ليطيحا برأس السيد** « **محمد كريم** » محافظ الاسكندرية ، إذ أصدر الجنرال « **كليبر** » فى ٢٠ يوليو



(تموز) ١٧٩٨ قراراً بالقبض عليه بتهمة إثارة العصيان ضد الحملة ، وبعث به الى « نابليون » فى القاهرة فأصدر القائد العام أمره بأعدامه ، وخيره بين الموت بالرصاص ، وبين افتداء نفسه بدفع غرامة ثلاثين ألف ريال ، فلم يقبل ، وقالوا له

ــ انت رجل غنى ، فماذا يضيرك ان تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟ .

ــ إذا كان مقدراً لى أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت مال مهما كثر ، وإذا كان مقدراً لى أن أعيش ، فلماذا اشترى قدري !

ولم يكن « **سليمان الحلبى** » ، « **الأفاّق الأهوج** » ــ بتعبير « **الجبرتى** » ــ يملك ثلاثين ألف ريال ليفتدى نفسه وحتى لو كانت معه ، فإن أحداً لم يكن ليقبل فيه فِدْيَة ، وقد قتل كبير الفرنسيس وقائد جيشهم ويعسوبهم ، وكل الذى كان معه ، حين قَدِمَ إلى القاهرة من القدس ليقتل « **كليبر** » أربعون قرشاً قيمة كل منها أربعون باره ، ولم تكن رأسه محملة بأكاليل الغار وأوهام المجد ، إذ كان يسعى مختاراً للفداء ، لمعانقة قدره ، للمغازاة فى سبيل الله ..

وهو قد ولد فى حلب ، وجاء من القدس عبر « **الجليل** » و « **يافا** » و« **غزة** » ، أى جاء من الشام : الأرض التى كانت بعض حلم « **نابليون** » و« **كليبر** » ببناء إمبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها فى الصميم : يضربها فينا ، يدميها برءوسنا المقطوعة ، بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن نصلى ، مُلوِّحاً أمامنا « **بالجوكارد** » شارة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان ، وبزخارف الحرية والأخاء والمساواة التى لم نشهد شيئا منها ..

« **كليبر** » أيضا كان قد ذهب إلى « **غزة** » و« **يافا** » . حدث هذا قبل مقتله بعام واحد . فلم يكن أمام « **بونابرت** » بعد أن حطم « **الأدميرال نلسون** » ــ قائد الأسطول البريطانى ــ الأسطول الفرنسى ، قبل أن يمر شهر على رسوه

بشواطىء مصر ، وبعد أن ثارت عليه المدن المصرية جميعاً ، إلا أن يحاول خرق الحصار وأن يؤكد لنفسه ، ولجيشه وللشعب المصري الذي يرفض « جوكارده » ولأعدائه فى أوربة ، أنه مازال منتصراً وقوياً وفى ذروة المجد ، فكان قراره بغزو الشام . وفكر فى أن يولى « **كليبر** » قيادة الحملة ، لكنه عدل عن ذلك وآثر نفسه بالمجد المتوقع ، فتولى القيادة بنفسه وحرم القائد الإلزاسى المتكبر — الذى كان يعتبر نفسه أقدم من « **بونابرت** » واكفأ منه عسكرياً — من مجد الشام !

وفى الشام لم يكن هنا مجد لـ «بونابرت» أو «كليبر» ، وفيما بعد قال أولهما بأسىً فاجع : لو استطعت الاستيلاء على « **عكا** » ، للبست عمامة ، ولجعلت جنودى يرتدون السراويل الفضفاضة ، ولجعلتهم فيلقاً مقدساً ، ولنصبت نفسى إمبراطوراً على الشرق ، ولعدت إلى باريس بطريق « **القسطنطينية** » .. **ولكن هذه الأحلام قد دفنت تحت أسوار عكا** » !

المجد الذى تحقق فى حملة الشام ، حققته « **عكا** » التى صمدت للحصار ٦٢ يوما كاملة رغم ضرب الأسوار والأبراج بالمدافع ، وما فتحته المدفعية الفرنسية فى أسوارها من ثغرات ، وموجات الهجوم عليها ، موجة بعد موجة ، لكنها لم تفتح أبوابها للغازى الذى يحلم بعمامة وسروال فضفاض ، أما أكاليل الغار التى عاد بها « **كليبر** » وعاد بها « **بونابرت** » ، فهى تملأ كتب التاريخ : مذابح وقسنوة وولوغ فى الدم تخجل منه الوحوش ذوات الظفر والناب التى لم تقرأ « **فولتير** » ، ولم تتأثر بـ « روسو » ، ولم تسمع عن فلاسفة التنوير ! .

فى الطريق إلى « **عكا** » سقطت « **العريش** » و« **غزة** » و« **الرملة** » و « **يافا** » . ونال « **كليبر** » بعض « مجد » هذا الفتح ، فقد كانت فرقته طليعة الجيش . أما التفاصيل فهى كثيرة . فقد تسللت كتيبة من فرقته إلى معسكر « **العريش** » فقتلت بالسلاح الأبيض خمسمائة من الجند والأهالى ، كانوا نائمين فيما بين إفطار يوم رمضانى وسحوره ، ولم يستيقظ الباقون إلا حين شم كلب المعسكر رائحة الدم بعد أن تشبعت بها الرمال ، فنبح ، حينئذ أخذوا أسرى ، ولولا ذلك لواصلت الكتيبة الفرنسية مهمتها فى محو الفارق بين المحاربين وسفاكى الدماء . معلقا

على ماجرى فى معسكر العريش قال « **نابليون** » :

ــ والحقيقة ان هذا الهجوم يعتبر من أجمل العمليات الحربية التى يتصورها العقل .

والشيء المؤكد أن « **سليمان الحلبى** » ــ القذر الثياب والزرى الهيئة والذى كان كثير التجوال فى فلسطين وسوريا ومصر والحجاز ــ كان يفهم معنى مختلفاً للجمال عن مفهوم الجنرال « **بونابرت** » .

ثم يأتى ماجرى فى « **يافا** » ليكون تنويعا آخر على تلك المفاهيم الفرنسية للجمال التى طبقت فى عملية « **العريش** » الجميلة ، فمع أن المدينة قد سقطت بعد ساعات من الهجوم ، إلا أن الفاتحين بدل أن يناقشوا مع الحامية شروط التسليم ، اندفعوا يقتلون كالمجانين كل من يصادفهم من أهلها ، فعلوا ذلك طوال ليلة ونهار ذبح خلالهما كل من له وجه إنسان : الشيوخ والفتيات ، الأطفال الرضع والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، المسلمون والمسيحيون . أصبحت السيوف والمُدىَ سيدة الموقف وقائدة البشر . جنون مجنون يعربد فى شوارع « **يافا** » ظامىء للدم . يتضاعف هياج الفاتحين حين يسمعون صرخات الاسترحام . ينزون شهوة . ينتعظون رغبة ، حين يرون فتيات تتشبثن بأحضان أمهاتهن المائتات فيغتصبونهن . وحين يتعبون : يكفون .

يتذكر قادتهم ان حامية المدينة ماتزال فى قلعتها ، يفاوضونها فى التسليم . يطلب جنود الحامية بألاّ يعاملوا كما عومل المدنيون من أهل « **يافا** » . يُبْذَل لهم الوعد سخيا بأن يعاملوا كأسرى حرب . يُسلِّم ثلاثة آلاف جندى سلاحهم : فيهم مغاربة وسوريون وفلسطينيون ومصريون وأتراك . يعقد « **بونابرت** » مجلساً عسكرياً يضم قادة حملته على الشام . فيهم « **كليبر** » . يناقش المجلس مشكلة الأسرى :

كيف يطعمهم الجيش الفرنسى وهو بعيد عن خطوط تموينه ؟

من يحرسهم والحملة فى حاجة إلى كل جندى من جنودها ؟ .

كيف يطلق سراحهم وقد ينضمون إلى « عكا » ــ المحطة التالية للغزاة ــ فيحاربون الفرنسيين مرة أخرى .

لم يقل احد من الذين ثبّتوا أكاليل الغار على جبين « كليبر » أنه تحدث — فى هذا الاجتماع — عن كلمة الشرف التى استسلم جنود الحامية تصديقاً لها . ولم نسمع أنه تحدث عن قوانين معاملة أسرى الحرب الذين سلّموا سلاحهم ، وكفوا عن القتال . تلك القوانين « الحضارية » التى لانستحقها نحن « الهمج المتوحشين » تقضى بالحفاظ على حياة الأسير الذى ألقي سلاحه ولأن « كليبر » — أو غيره — لم يثر هذا الدفع البسيط ، فقد صدر القرار باعدام حامية يافا عن بكرة أبيها (٣٠٠٠ عربى ومسلم من مصر والشام والمغرب وتركيا) .

وصّف التنفيذ كتبه المواطن الفرنسى — « بيروس » — فى خطابه لأمه .. قال فيه :

— فى صباح اليوم التالى أُخِذَ المغاربة جميعهم إلى شاطىء البحر ، وبدأت كتيبتان فى رميهم بالرصاص ، وكان أملهم الوحيد فى النجاه هو أن يُلقوا بأنفسهم فى البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة فضُربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ، وأسعد الحظ نفراً قليلا فوصلوا إلى بعض الصخور . ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء إثرهم فى قوارب والأجهاز عليهم وصدرت التعليمات للجنود بألاّ يسرفوا فى الذخيرة فبلغت بهم الوحشية أن أعْملوا فيهم الطعن بالسونكى . وقد وجدنا بين الضحايا أطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بأبائهم .

على شاطىء البحر ، كان الأحياء من أسرى حامية « يافا » ، يخوضون بحر الدم دفاعاً عن حياتهم ، ويصنعون من جثث رفاقهم الذين ماتوا بالرصاص ، متاريس تحميهم من طعنات السونكى .

بعد خمسة أسابيع من ذلك التاريخ تكرر المشهد بمعظم تفاصيله أسفل « جبل طابور » جنوبى بحيرة « طبرية » . وكان البطل هذه المرة « كليبر » نفسه ، إذ طوقه جيش والي « دمشق » أسفل الجبل ، واستمر يحاصره عشر ساعات ، حتى كادت ذخيرته تنفد ، واستبد العطش بالجنود الفرنسيين وأمامهم — على مسافة قريبة — بحيرة عيجزوا عن الوصول إليها ، وأنقذ « نابليون » الموقف ، وقاد بنفسه فرقة من

الجيش بدأت فى إطلاق المدافع من مرتفع جنوبى ساحة القتال ، وحين بدأ جيش والى « دمشق » ينسحب توقياً للمدفعية التى أصبح هدفا سهلا لها ، أمر « **كليبر** » رجاله المجهدين عطشاً بمطاردة الجيش الدمشقي المنسحب . خاضوا فى البحيرة ، لا ليشربوا ، ولكن ليقتلوا ، كتب أحدهم فى مذكراته يقول :

ـــ كنا نموت ظمأ .. ولكن ظمأنا للانتقام أطفأ ظمأنا للماء ، وألهب ظمأنا للدماء . رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التى كنا نشتهى أن نشرب منها قدحا من الماء قبل لحظات ، غير أننا لم نعد نفكر فى الشراب ، بل فى القتل ، وفى صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج ، حتى امتلأت بجثثهم ..

فى تلك الأيام كان « **نابليون** » قد طبع منشورا لأهل فلسطين قال فيه « ... وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام ، لأن جميع الطيبات من عند الله .. والنصر من عند الله » .

جثث أهل « **يافا** » المتعفنة فى شوارعها . متاريس جثث الحامية التى ظلت على الشاطىء . الدم الذى روى عطش جيش « **كليبر** » أسفل جبل طابور . كل هذا أثمر طاعونا مالبث أن هزم الجيش الغازى تحت أسوار « **عكا** » . يقول **هيرولد** « فى اليوم الثانى من مذبحة يافا ، أرسل الله ـــ الذى من عنده تأتى جميع الطيبات ـــ الطاعون على الجيش الفرنسى » .

ومع أن أحداً من المؤرخين لم يذكر شيئا عن « **سليمان الحلبى** » آنذاك ، فمن المؤكد أنه كان يومها فى مسجد ما من مساجد حلب ، أو دمشق ، أو القاهرة ، يقرأ بخشوع :

ـــ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سِجِّيل . فجعلهم كعصف مأكول .



قضى « **سليمان الحلبى** » الشهور الخمسة الأولى من عام (١٨٠٠ م) فى

فلسطين . وصلها فى الشتاء ليصلى فى المسجد الأقصى ويجاوره زمناً . ولابد انه سمع هناك بما فعله الفرنسيس بأهل « **يافا** » وبحامية « **دمشق** » ومعسكر « **العريش** » . كان مكدوداً وضائقاً ، ذلك أن والي حلب العثماني « **ابراهيم باشا** » ، فرض على أبيه غرامة ضخمة وألزمه بدفعها ، فرحل الشاب القلق بحثا عن عمل يقتات منه ، وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالي الظالم .

وكانت « **فلسطين** » أيامها قد أصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التى تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر . أما « **كليبر** » ، الذى تولى قيادة الجيش فى مقتبل الخريف بعد أن هرب نابليون تحت جنح الظلام ، وترك مصر إلى فرنسا ، فقد كان يقرأ ساخراً رسائل نابليون إليه :

— ولاتنس يامواطني الجنرال أن « **قمبيز** » و« **أجزرسيس** » و« **الاسكندر الأكبر** » و« **عمرو بن العاص** » و « **سليم الأول** » كلهم دخلوا مصر من فلسطين .

فماذا تفيد تلك البديهيات التاريخية ، قائداً أستُخلف على جيش هبطت قوته المقاتلة الى النصف ، وهَدَّه الطاعون ، والحصار يخنقه من البر والبحر . ويكتب « **كليبر** » إلى حكومة الديركتوار الفرنسية قائلا :



بونابرت يعود مهزوماً من سوريا وفلسطين ، بعد أن طبق قوانين الحضارة في هجومه الفاشل عليها



جانب من مدينة الاسكندرية حين وصل إليها الغزاة الفرنسيون

ــ إنى اعترف بأهمية احتلالنا مصر ، وقد كنت أقول في أوربا أن مصر بالنسبة لفرنسا كنقطة الارتكاز التى نستطيع بها أن نقبض على ناصية التجارة ، ونتولى زمامها في سائر انحاء العالم ، ولكن يجب أن يكون لفرنسا محرك قوى . وهذا المحرك هو البحرية ، ولقد كانت لنا بحرية ثم ضاعت فتغير كل شيء ، وتغيرت المسألة من كل وجه ولم يعد لنا فيما يظهر لى سوى عقد صلح مع تركيا لنمهد لأنفسنا طريقاً شريفاً نخلص به من حملة لايمكن أن تحقق أغراضها التى دعت إليها !

ولأن أحداً فى فرنسا ــ حتى « **بونابرت** » ذاته ــ لم يرد عليه ، فقد دخل مفاوضات الصلح مع العثمانيين ، ووقع معهم ــ فى ٢٤ يناير (ك ٢) ١٨٠٠ م ــ معاهدة العريش . وتطبيقاً لها بدأ جيش الشرق فى الرحيل . لكن اللعبة الدولية أبت عليه هذا « الطريق الشريف » ، فالانجليز ــ الذين كانوا طرفاً فى المفاوضات ــ ، لم يرضهم ان يرحل جيش الشرق بأسلحته لينضم إلى جبهات القتال ضدهم فى أوربا ، فقطعوا طريق البحر على الجيش الفرنسى المنسحب ، وأسَروا كل من خرج منهم . ولم يجد العثمانيون بُداً من الهجوم على الجيش الفرنسي لاجلائه بالقوة . فكانت معركة « عين شمس » ..

لم يتطلب الجيش العثماني سوى يوم واحد ليهزم فى « **معركة عين شمس** » ، لكن « **القاهرة** » تمردت خمسة أسابيع كاملة ، فما كاد « **كليبر** » ينتصر على العثمانيين ، حتى تحولت شوارع المدينة إلى متاريس ، إمتد الغضب من بولاق إلى كل أنحاء المدينة . خرجت السيوف والبنادق والرماح والعصى بل والمدافع المدفونة فى أحواش المنازل ، وسرعان ماستولى الثوار على المدينة ، أقاموا متاريس قوية فى مداخل الشوارع ، هاجمت فصائل منهم مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال ، حيث يسكن « **كليبر** » ، فى قصر الألفى بميدان الأزبكية . أنشأ الثوار معملا لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه . استعانوا بكرات الحديد التى تستخدم فى الموازين « كقذائف » . أخذوا يجمعون القنابل التى تتساقط من المدافع الفرنسية فى الشوارع فيحيلونها إلى قذائف جديدة . تشكلت لجان للاعاشة ، وللتجنيد ، ولمراقبة المتاريس ورسم الخطط .



وحين دخل « **كليبر** » المدينة كانت فى أيدى الثوار ، فلم يبق أمامه سوى النار ، بدأت مدافع الفرنسيين تطلق قذائفها على المنازل ، واحتلت فرق من جيش الاحتلال الآكام المشرفة على المدينة ، فأحاطت بها شمالا وشرقاً ، وحوصرت بحيث لايصلها طعام ولا ماء . تقدم جيش الشرق يُشعل النار فى المتاريس والمنازل فإذا ما أطفأتها الأمطار الغزيرة التى هبطت على القاهرة ، أعادوا إشعالها من جديد : خمسة أسابيع كاملة والقاهرة تقاوم ، والنار ترعى فى مساكنها ، ولاأحد يقبل التسليم .

وأخيراً .. اقتحم الفرنسيون « **بولاق** » ، ففعلوا بأهلها — كما يقول « **الجبرتى** » المؤرخ — ماتشيب من هوله النواصي . « صارت القتلى فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الدور والقصور » ، أما الأزبكية وما جاورها من الأحياء التى دار فيها القتال ، فقد صارت كلها « تلالا وخرائب ، كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن أنسٍ ونزهات ، جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها . تسكب عند مشاهدتها العبرات » .

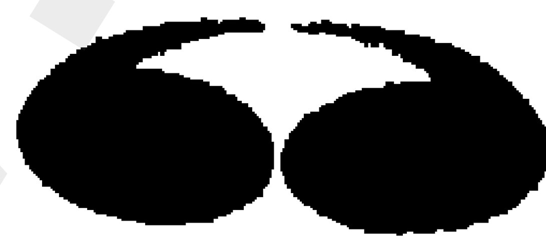
بكى « **الجبرتى** » المؤرخ ، أما الجنرال « **كليبر** » ، فقد أضاف إلى أكاليل

غاره ، إكليلاً جديداً ، وبات من الدقة العلمية ان نسميه : بطل معارك مايستريك وشارلوا وفانديه وجبل طابور وعين شمس وبولاق .

فى القدس كان « **سليمان الحلبى** » ـــ القادم من قلب القهر ـــ قد قرر أن يغازي فى سبيل الله ..

لا أحد يدرى كيف نبتت فكرة مشروع اغتيال « **كليبر** » ، ومن الذى أوحى بها ، ذلك أن « **سليمان الحلبى** » ، لم يكن من هؤلاء الذين يدونون خواطرهم ، كما أنه لم يعن كثيراً باطلاع الآخرين على مادار فى رأسه . وحين قبضوا عليه ، وعذبوه « حُكْمَ عوائد البلاد » لم يُفِضْ كثيراً فى الحديث . ومع أن جوهر روايته لما جرى ، صحيح ، إلا بعضاً مما قاله ، وقاله الأخرون ، يحتمل الشكّ وربما الاهمـال .

وطبقا لروايته ، فقد نبت المشروع فى حوار بينه وبين « **أحمد اغا** » محافظ القدس . وكان المحافظ قد تسلم منصبه فى نهاية مارس (آذار) ١٨٠٠ م ، وذهب إليه « **سليمان** » يشكو ما يلاق أبوه ، « **الحاج محمد أمين** » ، ـــ تاجر المسلى بحلب ـــ من اضطهاد ، إذ تعود « **ابراهيم باشا** » ، محافظ حلب ، ان يفرض عليه ـــ وعلى غيره من التجار ـــ غرامات فادحة ينوءون بها . وأسفر اللقاء بين « **سليمان** » و« **محافظ القدس** » عن مواعيد أخرَى متعددة ، جرت فى الأيام التالية ، وتراجعت خلالها المشكلة بين تاجر المسلى ومحافظ حلب ، ليطرح مشروع اغتيال « **كليبر** » نفسه على لقاءات الرجلين .



وأسفرت هذه اللقاءات عن اتفاق بأن يتوجه « **سليمان** » إلى القاهرة لتنفيذ المهمة ، وطلب منه « **أحمد أغا** » أن يسافر أولاً من « **القدس** » إلى « **غزة** » ليلتقي

هناك بشخص اسمه « **ياسين أغا** » سيقدم له المساعدات الضرورية لتنفيذ مهمته يزوده بأى خطابات تَقْدِمه أو رسائل تعريف ، إذ فضل أن يرسل ذلك عن وبوسائله الرسمية ، حتى لاتتعرض الرسائل للوقوع فى يد غريبه ، أو تطلع عليه متطفلة .

ولم تستغرق تلك المباحثات جميعها سوى ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع « **سليمان** » « **القدس** » إلى « **الخليل** » ، حيث ظل عشرين يوماً فى انتظار يرافقها إلى « **غزة** » ، ليكون فى مأمن من قطاع الطرق . وحين وصل إلى « **غزة** نهاية ابريل (نيسان) ١٨٠٠ ، التقى بـ « **ياسين أغا** » ، الذى قال له بأن لديه بالمهمة التى قَدِم من أجلها ، ورتب له إقامة مؤقتة بجامع غزة الكبير ، وتردد هناك عدة مرات ، تباحثا خلالها فى المشروع ، وكان « **ياسين أغا** » حريصاً عل يكون اللقاء خفية عن الأعين ، لذلك تمت معظم اللقاءات ليلا .

الجيش الفرنسى ، يستعد للانسحاب الذى لم يتم بعد توقيع معاهدة العريش فى يناير ١٨٠٠ م



وحين تمت الصفقة ، وعده « **ياسين** » برفع الاضطهاد عن أبيه ، وأن يشمله بحمايته فى جميع المناسبات ، وأعطاه أربعين قرشاً تركياً — قيمة كل منها أربعون بارة — لمصاريف سفره ، وأوصاه أن يكون حذِراً ، وألاّ ينفذ المشروع إلاّ بعد أن يضمن نجاحه وألا يُحَدِّث أحداً بشأنه .

وخلال الأيام العشرة التى أمضاها بغزة فى انتظار قافلة تقوده للقاهرة ، اشترى « **سليمان** » الخنجر الذى أغمده فيما بعد فى صدر « **كليبر** » ، ولم يبذل مجهوداً كبيراً فى الانتقاء ، إذ اشترى أول خنجر صادفه ، والتحق بأول قافلة مسافرة ، وكانت مُحَمَّلة بالصابون والدخان ، قطعت المسافة بين غزة والقاهرة فى ستة أيام ، قضاها « **سليمان** » على ظهر هجين .

ولأن القاهرة كانت — حين وصل إليها « **سليمان** » فى منتصف مايو (١٨٠٠ م) — ماتزال تلعق جراح الثورة : أبوابها مخفورة وآثار الحريق فى كل شوارعها ، والبحث لا يهدأ — ليل نهار — عن الجنود العثمانيين الذين تسربوا إليها وشاركوا فى الثورة والمتمردين الذين قادوا المقاومة ، فقد آثرت القافلة ألا تدخل المدينة ، وحطت رحالها فى قرية صغيرة بجوار الجيزة اسمها « **العياط** » . ومن هناك استأجر « **سليمان الحلبى** » حماراً ، دخل به المدينة فى ١٤ مايو ١٨٠٠ م .

أمضى « **سليمان الحلبي** » شهراً كاملا فى القاهرة . كانت الثورة قد خمدت ، أما أعمال الثأر فكانت فى قمتها . وكان « **كليبر** » يطبق قاعدته الديمقراطية : رؤوس أقل تُذبح ، وأموال كثيرة تُنهب ، ولابشاشة هناك . لذلك صمم — كما قال — أن يعصر مصر كما يعصر الشربتلى الليمونة . وتطبيقا لسياسة « الارهاب المالي » تلك ، فرض على المدينة العاصية ، غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك ، واعتقل خمسة عشر رجلا من أعيان المصريين حتى تجمع الغرامه الذى وزعت — كما يقول « **الجبرتي** » — على « الملتزمين وأصحاب الحرف حتى الحواة والقرداتية والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة عليها مبلغ معلوم ، وكذلك بياعو الدخان والتُنباك والصابون والخُردجية والعطارون والزيّاتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع أهل الصنائع والحرف ، وجعلوا على الأملاك والدور

كليبر



أجرة سنة كاملة » .

وعند التنفيذ ، كان البلاء عظيما ، يقول الجبرتي « مضى عيد النحر ولم يلتفت إليه أحد ، بل ولم يشعروا به ، ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف . وفرغت الدراهم من عند الناس ، واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى ، اذا أعطوهم ذلك لايقبلونه ، فضاق خُنَّاق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه . ثم وقع التَّرجِّى فى قبول المصوغات والفضيات ، فأحضر الناس ما عندهم ، فيُقَوَّم بأبخس الأثمان ، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه ، وحين يشتد الطلب ، وينبثُّ المعينون والعسكر فى طلب الناس ومهاجمة الدور ، وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم ، والذى لم يجدوه لكونه فرَّ وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره » .

وهكذا دخل « **سليمان الحلبى** » ، ليجد القاهرة ، بتلخيص « **الجبرتى** » ـــ فى شرِّ حال ، فـ « الطرق مجفرة ، والأسواق مقفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة والخانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميمة ، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة .. وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .



أمضى « **سليمان** » أول ليلة له بالقاهرة بمنزل أستاذه « **مصطفى أفندي** » ، واستضافة الشيخ العجوز الذى جاوز الثمانين من عمره ، إذ كان هو الذى علمه الخط وحفظ عليه القرآن حين كان بالقاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات . وفى الصباح ، اعتذر له « **مصطفى أفندي** » فهو شيخ عجوز فقير ، لاقِبل له بضيافته . وقبل

« **سليمان** » عذر الرجل ، وأستأذنه أن يمر عليه بين الحين والآخر لزيارته ، فأذن له ، فظل يتردد عليه طوال الشهر التالي كل أسبوع مرتين فى يومى الاثنين والخميس .

ونقل « **سليمان** » إقامته إلى الجامع الأزهر ، حيث التقى بأربعة من أصدقائه ، جميعهم من « **غزة** » ، ويقيمون كغيرهم من طلاب فلسطين وسوريا ، فى رواق الشوام ، وكان أكبرهم « **عبد الله الغزي** » فى الثلاثين من عمره ، أمضى منها عشر سنوات فى الأزهر ، وهى المدة التى قضاها ثانيهم « **أحمد الوالي** » الذى كان يناهزه عمراً ، أما أحدثهم إقامة فى القاهرة وفى الأزهر ، فكان الشيخ « **محمد الغزي** » ، إذ لم تمض على إقامته فى الجامع الكبير سوى خمس سنوات . وهرب الرابع « **الشيخ عبد القادر الغزى** » بعد مقتل كليبر ، فلم يترك أى معلومات تخصه .

سهّل المشايخ الأربعة لـ « **سليمان الحلبي** » الالتحاق بالجامع الأزهر ، والإقامة فيه ، دون إخطار السلطات الفرنسية ، التى كانت قد أصدرت أمراً بالإخطار عن كل عثماني يصل الى القاهرة . ومنذ البداية ــ وعلى عكس مانصحه به « **ياسين أغا** » محافظ القدس ــ أخطرهم بمشروعه ، فنصحوا له بعدم الإقدام عليه ، وأشاروا إلى الصعوبات التى تحول دون تنفيذه ، ونبهوه الى أنه سيقتل ، لكن « **سليمان** » لم يقتنع بما قالوه ، وواصل الحديث عن مشروعه خلال الأيام التالية ..

وطوال الوقت كان « **سليمان** » مشغولا يالبحث عن « **كليبر** » ، ودراسة أنسب مكان لتنفيذ مشروعه ، وكان القائد العام قد نقل إقامته الى « معسكر الجيزة » ، حتى تنتهى الاصلاحات التى كانت تجرى فى بيت الألفى ، مقر القيادة العامة ، الذى كان يقيم به قبل أن تصيبه قنابل الثوار باضرار ، أصبح معها غير صالح لإقامته به قبل ترميمه ، كما أنه كان كثير التجول فى المدينة ، يراجع متطلبات الدفاع عنها ، ويطمئن إلى سلامة قلاعها وحصونها ، ويشرف على إجراءات تحصيل الغرامة التى فرضها على أهلها ، فلم يكن له خط سير ثابت يسهل معه اقتناصه ..

ولظنه أن الفرصة المتاحة لتنفيذ مشروعه ، قد تتأخر بعض الوقت ، فقد أخذ « **سليمان** » يبحث عن عمل يقتات منه ، ككاتب عربي ، ومع أن الفرصة لم تسنح ، إلا أنه وجد أعمالا متفرقة . وكان يقضي معظم أوقاته بالأزهر ، ويكتب

أحياناً أوراقاً تتضمن أدعية وآيات من القرآن ، يوزعها على الطلاب والمصلين فى الجامع الكبير .

ويلتقى بأصدقاه « الغزاوية » ، فيسامرهم أحيانا .. ويشارك « **أحمد الوالي** » ، قلقه على ابن خالته « **عبد الملك بن شهيب** » الذى اختفى فجأة فى الخريف الماضى ، وترك أخته « **زينب** » فى منزلهما بـ « **تل العقارب** » ، ولعله قد صاحب « **أحمد الوالي** » ، إلى المنزل الذى كان يقع فى نواحى الناصرية ، بالقرب من بيت قاسم بك الذى كان مقراً للمجْمع العلمى الفرنسي . وكانت البيوت تحيط بالتل المرتفع ، المطل من أحد جوانبه على البركة الناصرية ، بينما كان الفرنسيون قد احتلوا سطح التل وحولوه إلى طابية نصبوا عليها المدافع ، لتأمين المدينة ، بعد ثورة القاهرة الأولى ، ولعل « **سليمان** » قد أدهشه شك « **أحمد الوالي** » فى أن يكون « **عبد الملك** » قد قتل وربيته فى أن بنت خالته « **زينب** » تعلم بسر اختفاء شقيقها « **عبد الملك** » !

وما أن عرف « **سليمان الحلبي** » أخيراً مقر إقامة الجنرال بالجيزة ، حتى انطلق إلى هناك ، وراقب موكبه ، وسأل النوتية الذين ينقلونه عبر النيل من الجيزة إلى القاهرة عن السبيل للقياه ، وحين استفهموا منه عن سبب سؤاله ، قال لهم أنه يود أن يقدم اليه شكوى .. فأخطره أحدهم أن الجنرال يذهب عصر كل يوم الى حديقة الأزبكية ليتفقد أعمال الترميم فى مبنى القيادة العامة ..

لحظتها كان قدر « **كليبر** » قد أدركه ..



انتهى التحقيق فى اليوم نفسه ــ السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠ م ــ وتحدد اليوم التالى لبدء المحاكمة ، وأصدر « **الجنرال منو** » ــ الذى خلف « **كليبر** » فى القيادة العامة ــ أمراً بتشكيل المحكمة من تسعة من قادة الجيش . وفى جلستها الأولى ،

ندبت المحكمة رئيسها ، وممثل الاتهام فيها ، لإجراء التحقيق ، وجمع أدلة الاتهـ فأسفر تحقيقهم عن اتهام « سليمان الحلبى » ، والأزهريين الأربعة الذين أفضى اد بعزمه ، وهم « **محمد الوالي** » و« **عبد الله الغزي** » و« **عبد القادر الغزي** » وأستاذه « **مصطفى افندي** » الذى بات فى منزله عند حضوره الى مصر ، فكان عدد المتهمين ستة ، ولما كان رابع المتهمين « **عبد القادر الغزى** » قد فر قبل المحاكمة ، فقد حُوكم غيابياً ..

وحين انعقدت المحكمة فى اليوم التالى — الإثنين ١٦ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م — وقف ممثل الاتهام « **القومسيير سارتلون** » ، يترافع ضد المتهمين ، فتحدث عما يكتنف الجيش الفرنسى فى مصر « من حداد عام ، وحزن عميق فيهما الدليل على عظم المصاب ، ففى مجال المجد والنصر ، اختطف من بيننا قائدنا قتيلا » ، وتساءل « ماذا عساني أن أضيف إلى التعبير عن الألم المبرح الذى نشعر به من أجله ؟ هل أذكر دموع جنوده الذين كان لهم بمثابة الوالد ، أم أذكر ماءملأ قلوب قواده — الذين حضروا أفعاله وزاملوه فى مواطن المجد — من أسى » .

جانب من قصر « مرادبك » بك بالجيزة حيث كان المقر المؤقت لإقامة « كليبر »



وفي ختام مرافعته طلب المدعي العمومي من المحكمة إدانة « **سليمان الحلبي** » والحكم بحرق يده اليمنى ، ثم يوضع على الخازوق حتى يموت وتنهش الطيور الجارحة جسمه ، وأن تقضي بأدانه الشيوخ الثلاثة « محمد » و« عبد الله » و« أحمد الغزي » في تهمة الاشتراك بالجريمة ، لعدم إبلاغهم عنها رغم علمهم المسبق بها ، والحكم بقطع رؤوسهم ، وأن يحكم على رابعهم « **عبد القادر الغزي** » ــ الذى هرب ولم يتمكن الفرنسيون من القبض عليه ــ بنفس الحكم ، على أن تنفذ الأحكام إثر تشييع جنازة « **الجنرال كليبر** » بحضور الجيش وأهالي البلاد ، وطالب المدعى العام ببراءة ساحة « **مصطفى أفندي** » والافراج عنه ، إذ لم يثبت أن « **سليمان الحلبي** » قد أنبأه بمشروعه ، وأن يطبع من الحكم وأوراق الدعوى خمسمائة نسخة وتنشر مع ترجمتها إلى اللغتين التركية والعربية فى مختلف أنحاء مصر بالمواقع المعتادة والمخصصة لذلك ..

وفى مجال المقارنة بين عظمة « **كليبر** » ، وجيشه ، وبين « وحشية » « **سليمان الحلبي** » ورفاقه ، تحدث « **سارتلون** » عن « بحبوحة التسامح والكرم التى يرتع فيها المصريون من قاهريهم » أما العثمانيون والمصريون والعرب ، فقد وصفهم « **سارتلون** » بأنهم « **متوحشون ، جُبناء ، لاتحمر وجوههم خجلا من إقدامهم على الانتقام لهزيمتهم بالاغتيال ، لذلك لن يكسبوا أمام العالم سوى العار** » .

وأرجع المدعى العمومي جريمة « **سليمان الحلبى** » ، إلى التعصب والهلاوس الدينية ، فهذا « الشاب المتوحش الموصوم بوصمة الاجرام ، أثرت روح التعصب الدينى أبلغ الأثر فى رأسه المضطربة بخاطىء الأقاويل عن مقتضيات الاسلام الصحيح ، حتى بات يعتقد أن أقوى دعائم الدين ، وأعز وسائله هى الجهاد فى سبيل الله وموت المشركين » .

وبعد أن انتهى المدعى العمومي من مرافعته ، أعادت المحكمة استجواب المتهمين ، فاعترفوا بالوقائع كما وردت فى أقوالهم النهائية ، وسألتهم هل يريدون توكيل محام للدفاع عنهم ، فلم يردوا ، فانتدبت المحكمة المترجم « **لوكاهاما** » للدفاع لكنه وقف ليترافع فقال أن لاشىء لديه ليقوله .

واختلت المحكمة للمداولة فى الحكم ، وسأل الرئيس أعضاءها إبتداء من أصغر الأعضاء رتبة ، عن كل متهم على حدة ، فكان قرارهم أنهم جميعاً مذنبون ، ما

* برطلمين * حاكم القاهرة البوقالي الذي نفذ حكم الإعدام في سليمان الحلبي ورفاقه

عدا « **مصطفى افندي** » الخطاط ، واستفتاهم رئيس المحكمة جميعا عن نوع العقوبة التي توقع على كل منهم ، فوافقوا على مااقترحه المدعى العمومى فى مرافعته .

وهكذا قضت عدالة الحرية والاخاء والمساواة والحضارة على « **سليمان الحلبي** » بالاعدام بوسيلة متحضرة تماما .. نقلها مترجمو الحملة عن الفرنسية إلى لغة عربية ركيكة ، كالخيال الركيك الذى قضى بها ، واعتبرها عدلاً .. وهكذا نص الحكم على « حرق يده اليمين ، وبعد ذلك يتخوزق ، ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمّته الطيور ، وكل ماتحكم يده عليه ، يكن حلالاً للجمهور الفرنساوي » .. أما « **محمد الغزي** » ، و« **عبد الله الغزي** » .. و« **أحمد الوالي** » فقد حكمت العدالة الفرنسية بأن « تقطع رؤوسهم ، وتوضع على نبابيت .. أما أجسامهم « فتحرق بالنار .. ويكون ذلك قُدّام « **سليمان الحلبي** » قبل أن يجرى فيه شيء » ..

فى تلك الأيام ذاتها ــ أو قبلها بقليل ــ انعقدت محكمة فرنسية أخرى فى ميناء « **طولون** » ــ الفرنسي ــ لتحاكم شاباً آخر من « **غزة** » .. هو « **عبد الملك شهيب** » .. فتحكم ــ أيضا ــ بإعدامه .



ظهر « عبد الملك » فى آخر مكان كان يتصوره ابن خالته « **أحمد الوالي** » : على سطح السفينة الحربية « **لامويرون** » ، التى هرب عليها « **نابليون بونابرت** » من مصر . ولم يكتشف أحد من حُرّاس « **نابليون** » وجوده ، إلا حين فوجئوا به ذات صباح ، يثب على الجندى « **فورتين** » ــ أحد حراس « **نابليون** » ــ ليطعنه بخنجره أربع طعنات فى صدره وكتفه .. فيسقط صريعاً .. وأمام « **نابليون** » روى « **عبد الملك** » الواقعة .. كان « **فورتين** » يعسكر فوق « **تل العقارب** » ضمن قوة طابية

المعهد العلمي .. وذات غروب ، تسلل الى بيت « **عبد الملك** » ليغتصب « **زينب** » .. وظل يواصل اغتصابه لها بين الحين والآخر ، حتى اكتشف « **عبد الملك** » المأساة ، فظل يرحل خلف « **فورتين** » من بلد الى بلد ، حتى استطاع أخيراً أن يتسلل خلفه ، إلى السفينة « **لاموبرون** » ، فقتله !

وفى الوقت نفسه الذى كانت الاستعدادات فيه قد تمت لاقامة مراسم العدالة الفرنسية فوق « **تل العقارب** » .. لم تكن « **زينب** » التى خرجت مع أهل البلد لتتفرج على مراسم دفن « **كليبر** » وإعدام « **سليمان الحلبي** » ورفاقه — ومن بينهم ابن خالتها « **أحمد الوالي** » — تعلم أن حكم الاعدام رميا بالرصاص ، ينفذ فى اللحظة ذاتها فى شقيقها « **عبد الملك** » !



□ القاهرة المحروسة
□ الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م .

حين بدأت جنازة الجنرال « **كليبر** » تحركها من مبنى القيادة العامة ، انطلقت طلقات مدفع القلعة تتالى مرة كل ثلاث دقائق . وتقدمت كتائب الجيش من الفرسان والمدفعية ثم حرس القائد العام ، فموسيقى الجيش موكب الجنازة ، حمل الجنود بنادقهم منكسة ، ووضعوا أشرطة سوداء على أكمامهم ، أما الطبول التى كانت تدق دقاً جنائزياً خافتاً ، فكانت هى الأخرى مجللة بالكريب الأسود . كذلك كان النعش الذى حُمِل على مركبة تجرها الجياد ، وفوقه سيف « **كليبر** » وقبعته وشاراته والسكين الذى قُتل به . وكان دمه مايزال متجلطاً عليه . خلف النعش وفد من فرسان المماليك ، ثم « **الجنرال منو** » — خليفة « **كليبر** » — وقواد الجيش وأعضاء المجمع العلمي الفرنسي ، ثم أعيان القاهرة من التجار والعلماء والقساوسة ، ومندوبو

طوائف الصناع ، وسارت الجنازة من «الأزبكية» إلى « درب الجماميز » إلى «الناصرية» ، حتى «تل العقارب» .. وهناك توقفت الجنازة ، وماالحتشد فيها ، ليشهد جثمان « كليبر » المسجى فى نعشه ــ قبل الدفن ــ آخر مشاهد المجد ويتزود بنظرة من عدالة الظالمين !

أنزل نعش «كليبر» من فوق عربته ، ووضع على «**تل العقارب**» ، حيث كانت مراسم تنفيذ الحكم فى « **سليمان الحلبى** » وشركائه فى انتظار وصول النعش . وما أن انطلقت المدافع ، حتى بدأ الشطر الثانى من الاحتفال . تقدم « **بارتليمى** » ــ محافظ القاهرة اليونانى ــ فأطاح بسيفه برؤوس طلاب الأزهر الثلاثة وتسلم بعض معاونيه الرءوس التى تخضبها الدماء ، فرفعوها فوق عصى طويلة ، وغرسوها فى أرض التل ، بينما وضعت جثثهم فوق كومة ضخمة من الحطب والأخشاب ، أشعلوا فيها النيران . وكان الفحم آنذاك ، يحمى فى مجمرة ، وحين انتهى المحافظ من مهمة إعدام المشايخ ، تقدم إلى « **سليمان** » ، ووضع كفه فى المجمرة ، لم يشك « **سليمان** » ، **ولم يتكلم والنار تأكل لحمه الحى ، غير أنه اعترض حين تعمد « بارتليمى »** أن يعدل من وضع يده ، لتطول النار مرفقه ، منبهاً إياه إلى أن الحكم لم يذكر المرفق بل اليد فقط ، وتشاجر «سليمان» مع « **بارتليمى** » ونعته بالكلب ، وأصر على حقوقه ولم يكف عن الاحتجاج إلا حين أزيحت عن مرفقه الجمرة ..

وبعد أن احترقت يد « **سليمان** » ، بدأ تنفيذ القسم الثانى من الحكم الصادر بحقه . وقام « **بارتليمى** » بعملية الخوزقة بمهارة ، أحضر قضيباً مدبباً من الحديد ، ثم بدأ فى إدخاله فى شرج « **سليمان الحلبى** » ، بالدق بمطرقة خفيفة ، حتى لايحدث نزيفاً يؤدى إلى موته قبل أن يتعذب بما يكفى ، وبعد أن انتهى ذلك الاجراء التمهيدى ، رفع الخازوق قائماً ، وعليه سليمان ، ثم غرس فى الأرض .



الجنرال كليبر

طلب « **سليمان** » من جندى فرنسي كان يقف على مقربة منه ، أن يعطيه شَربة ماء . كان الجندى على وشك أن يعطيه زمزميته ، منعه « **بارتليمى** » ، إذ سوف تؤدى أى نقطة ماء الى موته فوراً ، فتنقذه من عذابه ، وهذا مخالف لمنطوق الحكم ولتقاليد الحضاره !

على تل العقارب .. فارق جثمان « **كليبر** » « **سليمان الحلبى** » .. مضوا به ، تتقدمهم الفرسان والموسيقى ، وحين وصلوا إلى فناء قصر العينى ، حيث أعدوا فى حديقته قبراً للجنرال ، على درج عال زرعوا حوله أعواد السرو . وبعد انتهاء مراسم الدفن ، ألقى المواطن « **فورييه** » — سكرتير المعهد العلمي الفرنسي — كلمة طويلة ، تحدث فيها عن الجنرال « **كليبر** » بطل معارك فانديه وشارلوا وفلوريس ومايستريك والفكريش وفريدبرج ، ومقتحم الاسكندرية وبطل معركة جبل طابور وعين شمس ، من أخمد ثورة القاهرة ، وجاء — مع جيشه — لينشر أعلام الحضارة والعدل على ضفاف النيل ..



وفى تلك اللحظة .. كان «**سليمان الحلبى**» جالساً على خازوقه فوق تل العقارب يصلي !! .